Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

Natural place as a poetic signifier According to Ibn Zamrak al-Andalusi (d. 797 AH)

Israa Jamal Khalil Al-Hamdani
Nineveh Education Directorate /
Mosul - Iraq

Moqdad Khalil Qasim
Department of Language of Arabic / College of arts /
University of Mosul/ Mosul -Iraq

Article Information

Article History:
Received Apr 12,2025
Revised Apr 29,2025
Accepted May 18,2025
Available Online December, 2025

Keywords:
Context
Focus
poetics

Correspondence:
Israa Jamal Khalil Al-Hamdani
israa.22arp169@student.uomosul.edu.iq

Abstract

The natural space, in its poetic functional dimension, is worthy of moving within objective visions dependent on the text's elements, whether apparent or inspired by narrative structures. The event is linked to the space in its containment and documentation as a poetic signifier, and is based on psychological integration and emotional identification with it. The vision it conveys emerges from the context of the experience; a sense that captures the aesthetics of the space and its actors with poetic images that it brings together within a comprehensive context. This sense of spatial vision gives the experience its essence, granting it the potential for influence and precise description. Signifiers secured by the formation of the natural space are identified by the research in (Praise, Women, and Longing) in accordance with reading perspectives that stem from the text and its linguistic and non-linguistic contexts, in which the natural space is a dominant poetic signifier and a governing focus of the vision and its objective dimension..

DOI: 10.33899/radab.2025.159068.2352, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المكان الطبيعي دالًا شعريًّا عند ابن زمرك الأندلسي(ت797هـ)

إسراء جمال خليل* مقداد خليل قاسم**

المستلخص.

إن المكان الطبيعي في بعدهِ الوظيفي الشعري جدير بأن يتحرك ضمن رؤى موضوعية مرتهنة بعناصر النص التي تكون ظاهرة أو مستوحاة من البنى السرديَّة؛ إذ يرتبط الحدث بالمكان في احتوائهِ وتوثيقه بوصفه دالًا شعريًّا، ويرتكز على اندماج نفسي وتماهٍ شعوري معه، وتنبثق الرؤية التي يبثها من محيط التجربة؛ بإحساس يستقطب جماليَّات المكان، وفواعله بصورٍ شعريَّة يلملمها في سياق جامع، وتُشعر برؤية مكانيَّة تعطي للتجربة كنهها، وتمنحها إمكانيَّة النفوذ، ودقة الوصف؛ بدوال يؤمنها تشكيلُ المكان الطبيعي حددها البحث في (المديح

* مديرية تربية نينوى/ موصل / العراق
* قسم اللغة العربية / كلية الاداب /جامعة الموصل/ الموصل -العراق

والمرأة والحنين) على وفق نظرات قرائية تنطلق من النص بسياقيه اللغوي، وغير اللغوي اللذين يكون فيهما المكان الطبيعي بوصفه دالًا شعريًّا مهيمنًا، وبؤرة حاكمة في الرؤية وبعدها الموضوعي.

الكلمات المفتاحيَّة: سياق، بؤرة، شعريَّة.

المقدمة:

أولى الشعراء العرب عناية بالغة بالمكان الطبيعي، واستعرضوا تفاصيله موظفين ما يرتبط بالمكان الطبيعي، وعلاقته بالذات ومحيطها؛ ((فالعرب اهتموا بالطبيعة اهتمامًا عظيمًا ووصفوها وصفًا طويلًا منوعًا ... وإنك لتجد في الشعر العربي القديم وصف البيئة الصحراويَّة بكل ما فيها من رمال وصخور، ووهاد وتلال، ووديان وغُدر، وقيعان وجبال، ودروب ومفاوز، وما يعلوها من السماء والنجوم، والسحاب والغمام، والرعود والبروق، وما يخرقها من الرياح والنسمات، والأمطار والسيول، وما يتقلب عليها من فصول السنة المختلفة، ومن الطقوس المتفاوتة))[1]؛ إذ تمثل الطبيعة الرافد الرئيس للشعر، ومصدرًا من مصادر الإلهام يستقي منها الشاعر الصور سواء أكانت مقصودة بذاتها أم مادة يشكل من أبعادها الحسيَّة المضامين والأفكار.

وكانت الطبيعة المكانيَّة المحطة الإبداعيَّة الفاعلة التي تنصهر فيها الأحاسيس، وتلتقي عندها الخواطر والانفعالات؛ فتعبر عن مكامن النفس تجاه جزئيات المكان الطبيعي وكلياته؛ وتمكنه من التعبير عن خفايا الذات التي انفعلت بما هو طبيعي تشخصه طريقة للكشف، ومجالًا للبوح تتحدث معه وتحاوره؛ فيلجأ الشعراء ((للطبيعة ويتخذونها مصدر إلهام يأوون إليها متأملين ظواهر الحياة والكون، ويستمدون منها وحي الشعر؛ فالطبيعة ملهمة الفنان، ومصدر الوحي، ومنبع الإلهام، وتهوي إليها أفئدة الناس مهما اختلفت ثقافتهم وبيئتهم))[2]، وتباينت عصورهم وتلاحقت، ((ويتسم المكان الطبيعي بثقلٍ فني في البناء الشعري شكلًا ومضمونًا؛ مما جعل موضوعاته ذات رؤى متعددة، لا تقتصر على الحدود الجغرافيَّة، والاجتماعيَّة والنفسيَّة، وإنما يتجاوزها إلى الذات وفلسفتها، ويشكِّل من المكان الطبيعي فيضًا من الأحاسيس، والمشاعر حاملًا للذكرى، كما يحوِّل الوجود الواقعي إلى وجود متخيل؛ بتشخيص الأمكنة الأرضيَّة (كالروضيات)، وكذلك وصف أماكن الطبيعة الطَّلليَّة، وبالوقوف على الدِّيار والبكاء عليها؛ مما يولِّد الارتباط العميق بين الأماكن السماويَّة كالأنواء والإبداع الشعري))[3] في رؤية موحدة تتجه للإحاطة بأبعاد التجربة، وواقعها الثقافي، والاجتماعي، ووجودها السياسي، والعقدي في صعيد إبداعي.

ويأتي المكان الطبيعي عند (الشَّاعر ابن زمرك الأندلسي) واقعيًا ومتخيلًا، يعجُّ بمواطن الجمال؛ إذ يصف الأماكن الطبيعيَّة بقدرة إبداعيَّة متوازنة شعوريًّا؛ ذلك أنها تمثل معينا يستقي منه الأفكار والمضامين على الصعيد الاجتماعي، والسياسي كما أنه من الأدوات، والعناصر التي يستعين بها في بناء نصِّه الشعري، وإظهار الصفات الجماليَّة التي تنبثق عنه، وكانت الطبيعة ملجأه، وقد تحدث ((عن كلَّ شيء أَحسَّ به وشاهده وكانت أوصافه مستمدة من هذهِ المظاهر التي وقعت تحت نظره، وكان شعره مستمدًا من صميم البيئة التي وُجِد فيها، ومن النزوع الطبيعي للتعبير عن وجود الحي الذي كان يعيشه))[4]، وأعانته البيئة الأندلسيَّة في اتقانه وإحكامهِ وصف المكان الطبيعي بما فيها من رياض، وجبال وأشجار كانت مدعاة للتأمل، والإجادة في التصوير وميدانًا للتأويل؛ فوجد نفسه محاطًا بالمناظر الآسرة بموجوداتها المكانيَّة؛ ((إذ صوَّره بمشاهد شعريَّة تتخذه مرتكزًا بنائيًّا يمثِّلُ وظائف دلاليَّة، وجماليَّة تفصحُ عن رؤى ذاتيَّة فيها تجسيدٌ للمشاعر بلغةٍ شعريَّةٍ تُقدِّم ترسيماتِه، وإيحاءاتِه شعرًا بمؤثراتٍ نفسيَّة تعتمدُ المجاورة، أو التَّماهي بين صورٍ حقيقيَّةٍ ومجازيَّة يحملها (المشهدُ الوصفيُّ للمكان)، وتضمُّ علائق سياقيَّة، ومدارك حسيَّة، وأساليب بيانيَّة لها انعكاساتٌ واقعيَّةٌ))[5] مكنته من انتقاء الأفكار وبناء الصور، وتضمينها في تجربته منفعلًا بها، ويعبر عن رؤيته بانسجامه معها؛ فهو لا ينقل صورة الطبيعة كما هي، وإنما يضفي عليها عناصر الجمال وفواعل الخيال، ويتفنن بدقة التصوير، ويتواتر في تجربته الشاعر ابن زمرك الأندلسي ذكر المكان الطبيعي بتفصيلاته، وأنماطه مكوَّنًا فضاءً شعريًّا تحكمه رؤيته ونظرته للواقع، وانفعاله بأحداثهِ وسياقاتها المتعددة.

أولًا: المكان الطبيعي والمديح

تبقى سيرورة المكان متجددة عند الشاعر، واستطاع الانفعال معه وتصويره؛ لتجسيد الأفكار بالبنى وإشارتها والرموز، والحقائق المجردة، وتقريبها فنيًّا من الذهن وتحقيق إحاطة إبداعيَّة بجعله البؤرة التي تتجه إليها الرؤى وتكتمل، وكان المديح هدفًا للتشكيل المكاني الذي

---

(1) ثقافة الناقد الادبي: د. محمد النويهي، مكتبة الخانجي، بيروت، لبنان، ط2، 1969م:237.

(2) وصف الطبيعة في الشعر العباسي لوحات كشاجم نموذجًا: د. زينب عبدالكريم حمزة، (بحث منشور)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد35، 2017م: 850.

(3) المكان في شعر ابن نباتة المصري (ت768ه):عبير عبدالكريم العبيدي (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف: أ.د. مقداد خليل قاسم الخاتوني، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2023م : 86.

(4) الطبيعة في الشعر الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي، دار الارشاد للطباعة والنشر، بغداد، العراق، (د.ط)، (د.ت): 308.

(5) المشاهد الوصفية في شعر ابن زيلاق الموصلي (ت660هـ): د. مقداد خليل قاسم،(بحث منشور)، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، ع 75، لسنة 1440ه/ 2018م: 79.

صيره الشاعر دالًا شعريًّا في تحرير رؤية تنطلق من الواقع إلى الشعر، ويتحدث عن الأمكنة الطبيعيَّة المتمثلة بالكواكب، والوديان، والأبحر في معادلة شعريَّة عبّر فيها عن مكنونات نفسه، ومنطقهِ إزاء الواقع السياسي ؛ إذ يقول [1]:

يَا شَمْسَ هَدْيٍ فِي سَمَاءِ خِلافَةٍ	**حَفّتــهُ مِنْ أَوْلادِهِ غرُّ البُدُورْ**
هَلْ عِنْدَ بَدْرِ التِمِّ فِي أَفْقِ العُلَى	**أَنَّ البُدُورَ اليَوْمَ هَالَتُهَا القُصُورْ؟**
أَوْ عِنْدَ أَوْدِيَةِ البَسِيطَةِ أَنَّهَا	**إِنْ قَايَسَتْ شِنْيِلَ[2] فِي فَيْضٍ تَغُورْ؟**
كـــفُّ الغَنِيِّ بِرَبِّهِ سَالَتْ بِهِ	**مِنْ فَيْضِ أَنْمُلِهِ المُبَارَكةِ البُحُورْ**

يصوِّر المكان الطبيعي المتمثل بـ (الشمس، البدور، بدر التِم، وأفق العلا، أودية البسيطة، شنيل، البحور) مشكلًا صورة كليَّة ((فالمكان وإدراكه الداخلي عنصران أساسيان في تكوين هذه الصورة النابعة من أحساس مملوء بالعواطف والمشاعر))[3]، وابتدأ بالنداء في قوله (يا شمس هديٍ)؛ إذ يشبه الممدوح بشمس الهداية، وتحفُّ به البدور التي تغطي السماء، وافتتح الاختيار المدحي بهذا الأسلوب، ووجهه توجيهًا مباشرًا؛ لبيان أثر الممدوح في الواقع السياسي وفضائهِ الواقعي والشعري.

ثم يأتي الاستفهام (هل عند بدرِ التم في أفق العلا) يستفهم إذا كانت القصور أصبحت هالة لهذه البدور، ويقارن بين المكانين الطبيعي الأرضي، الطبيعي السماوي والكواكب والنجوم؛ إذ يلحق الممدوح بالمكان الطبيعي بجماله مع مناصرين وحاشية ؛ فهم يساوون البدور والشمس التي في السماء، والنهر (شنيل) المكان الطبيعي لا تعادله الأودية، والأنهار التي على البسيطة (الأرض).

ويورد التشبيه ووصفه بالبحور؛ لكثرة كرمه محققًا للمكان الطبيعي وجودًا سياسيًا وماهية واقعيَّة، ويدل توظيفه للبحور على الاتساع، والشمول في عطاء الممدوح الشخصيَّة الرئيسة في الفضاء الشعري الذي منحته صورة الظاهرة المكانيَّة الطبيعيَّة اتساعًا بموازاة اتساعها، وكثرة جوده؛ ليحقق التوافق بين القوة والشجاعة والسخاء والعطاء، وهنا برزت موهبة (الشَّاعر ابن زمرك الأندلسي) في توظيفه للمعاني بأمكنة طبيعيَّة تتجه نحو بلورة صورة الممدوح:

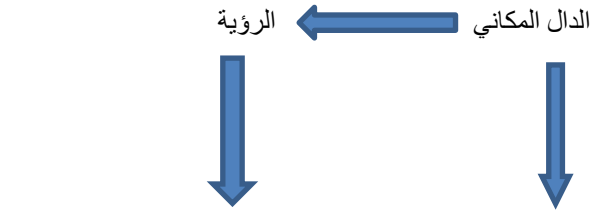

ويأخذ المكان الطبيعي حيزًا في مخيلة الشاعر؛ إذ تتجه الأحاسيس صوبه لتستقطب الجزئيات بأدوات لرسم صورته بمقدرة شعريَّة، وإحساس مرهف؛ تُصيّران المكان الطبيعي فضاءً مؤثرًا ذا راحة وسكينة؛ إذ يقول في موشحة[4]:

---

(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: تحقيق: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997م: 72.
(2) شنيل:((نهْرٌ عظيمٌ بالأَنْدَلُسِ، ذكرهُ الْمَقَّرِي فِي نَفْح الطِّيب، قالَ فيهِ بعضُ المغارِبَةِ يفَضِّلُهُ على نِيلِ مِصْـر)): تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، (د.ط)، (د.ت): 29/300.
(3) المكان في شعر أبي نواس مدخل نظري: جميلة صدام، (بحث منشور)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، العدد 90، 2009م: 182.
(4) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 547.

عَلَيْكِ يَا رَيَّةَ السَّلَامُ	**ولا عَـدَا رَبعكِ المَطَرْ**
قَدْ حَلَّ في قَصْرِكَ الإِمَامُ	**فَقُرْبُكِ السُولُ والوَطَرْ**
والدَّوْحُ في رَوْضِكِ الأَنِيق	**لِلشُّكْرِ قَدْ حَطّتْ الرُّؤُوسْ**
والْغُصْنُ في نَهْرِهِ غَرِيقْ	**وَفِي حُلَاهُ كَمَا عَرُوسْ**
وَالجَوُّ مِنْ وَجْهِهِ الشَّرِيقْ	**تَحْسُدُهُ أَوْجُهُ الشُّمُوسْ**
وأَعْيُنُ الزَّهْرِ لا تَنامْ	**تَسْتَعْذِبُ السُّهْدَ والسَّهَرْ**
تَنْفُثُ مِنْ تَحْتِهَا الغَمَامْ	**تَرْقِيـكَ مِنْ أَعْيُنِ الزَّهَرْ**
عَرُوسَةَ أَنْتِ يا عَقِيلَهْ	**تُجْلَى عَلَى مَظْهَرِ الكَمَالْ**
مُدَّتْ لَكِ الكَفُّ مُسْتَقِيلَهْ	**تَمْسَحُ أَعْطَافَكِ الشَّمَالْ**
والْبَحْرُ مِرْآتُكِ الصَقِيلَهْ	**تَشِفُّ عَنْ ذَلِكَ الجَمَالْ**

ارتبط الشاعر بالمكان الطبيعي، وتعلق به واقعيًّا وشعريًّا؛ إذ ((إنَّ الطبيعة بالأندلس خلابة، وهي روضة من رياض الجنة وقف عندها الشعراء وقفة تأمليَّة لما منحها الله سبحانه وتعالى من سحر وجمال))(1)؛ رغبة في جعل الحياة متدفقة، ومستمرة فيه؛ إذ وظّف الحوار بالنداء في قوله: (يا رية السلام)، مناديًا (مالقة)، ونجده في تفاعل مع المكان، ويحاول بموهبته الإبداعيَّة جعله حيًا ناميًا شعريًّا، ويبدأ بأسلوب الحصر بتقديم شبه الجملة (عليكِ)؛ لحصر التحيَّة بهذهِ المدينة التي تمثل الراحة والسكينة، ويعتمد أسلوب الدعاء بقوله: (ولا عدا ربعك المطرْ)، طلبًا للارتواء؛ ((لأن الأمكنة الطبيعية صارت الوسيلة للتعبير عن مشاعره الذاتيَّة والإنسانيَّة التي يحاول بها أن يبرز انفعالاته وعواطفه وأحاسيسه))(2). وعبر بقوله: (ولا عدا ربعَكِ المطرُ) عن رغبته في أن لا يتخطى المطر هذا الربع، ولا يبتعد عنه، مصورًا بالاستعارة الظاهرة في النص ديمومة المكان ونضارته بـ(الشكر والغرق والنوم). ويقدّم رؤيته بأحاسيس مرهفة عبر استقطاب الصور التي ترسم لوحة فنيَّة منبثقة من سعيه في أن يبقي الحياة في المكان، ورفد النص بالبنى التي ترمز إلى المكان الطبيعي وتدل عليه، وهي متحدة، ومتوائمة مع المطلع لاستمرار حضور المكان في الوعي: (الدوح، والروض، والنهر، والجو، والشموس، والزهر، والغمام، والبحر، والورد) بثّها؛ ليشكِّل فضاءً شعريًّا متسقًا استقرت أمكنته في ذاته وتعلقه بها شعرًا.

وبتقصي البنى التي كررها مرتين:(أعين الزهر) بوصفها رمزًا للرقة والنعومة، وبداية الثمر باعتماد الصورة البصريَّة، والصورة الشميَّة (وأعين الزهر) التي كررها مرتين، بأنسنة (الزهر)، وجعله إنسانًا يرى، ونلاحظه يصور منع النوم عن الزهور التي تستعذب محسوسات المكان الطبيعي: (السهاد والسهر)، وتألفه وتستريح به، وهذا نابع من رؤيته الشعريَّة تجاه المكان الطبيعي بوصفه دالًا شعريًّا؛ فالنوم في نظره ابتعاد، والصحوة قرب، وتعلق ووجود يماثل وجود المكان، ويسند السهر للزهور التي تمثل معادلًا لروحه التي تأنف عمَّا يبعدها، ويجعلها بمنأى عن المكان؛ لجمال طبيعته وهدوء المقام فيه وقد ترسخت في وعيه وقوة انتمائهِ له (وأعين الزهر لا تنام).

ويزدحم النص بالرموز والدلالات التي تداخلت؛ لتعبر عن رؤية فنيَّة، وأحاسيس كامنة في الذات قامت بإرسال انفعالاتهِ الشعريَّة مرتكزة على جعل المكان الطبيعي متدفقًا مستمرًا، ويسلط الضوء على (المطر، والبحر، والنهر) بما فيها من اتساع، وشمول، وتدفق

(1) المكان في شعر ابن زيدون: ساهرة عليوي حسين العامري (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف: أ.د هناء جواد عبد السادة، جامعة بابل، كلية التربية، 2008م: 82.
(2) المكان في شعر ابن زيدون (رسالة ماجستير غير منشورة):88.

وحركة وعطاء انصهرت كلها في فضاء شعري يحمل ألق الأمكنة الطبيعية، وصرحت بما يقرُّ في الذات من اتفاق مع المكان الطبيعي وفكرة النصّ، وإصرارها، وتظهر الرؤية ابتداءً بالإشارة إلى الممدوح في مطلع الموشح (حلَّ في قَصْرِكَ الإمَامُ) بؤرة تتوالد منها بنى مكانية متعددة مشكلة للفضاء الشعري:

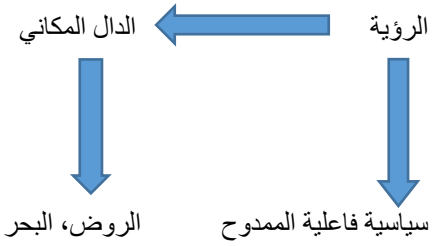

والانتماء للمكان.

ويأتي المكان الطبيعي بوصفه دالًا شعريًّا داعمًا صوريًا في الإفصاح عن الرؤية بمداخل مجازيَّة تبتعد عن المباشرة والتقرير؛ إذ يقول [1]:

صَحِيفَتُكَ البيضَاءُ لوَّحَ بَنْدُهَا[2] **فَلَاثَ مُحَيَّا الصُّبْحِ منها غَمَائِمَا**

وَمَا هِيَ إلَّا رَوْضَـــةٌ ونَسِيمُهَا يُبرِّدُ مِنْ حَرِّ اشْتِيَـاقِي سَمَـائِمَا

وَأدْوَاحُهَا أسْطَـارُهَا وَحُرُوفُهَا تُرَجِّعُ فيهـا بِـالثَّنَـاءِ حَمَـائِمَا

يصف الشاعر المكان الطبيعي؛ للتعبير عن شوقه لأستاذه؛ إذ تضفي صوره التي يألفها، ويأنس بها على النص طابعًا وجدانيًا؛ فيشبه صحيفة أستاذه البيضاء المرسلة إليهِ بالبنود، والرايات التي ترفرف في السماء؛ فتجلو بنورها الغمام وهو مدادها، وجاء التضاد بين اللونين: الأبيض ولون الغمام الأسود صورة تعبر عن رؤيته للطبيعة المكانيَّة، وما فيها من تباين لوني؛ لأن اللونين يمثلان الرؤية الشعريَّة؛ الأبيض بما فيه من راحة، وسعادة والأسود المتمثل بالغمام ودلالته على الثناء، والإطراء؛ ليشكلا البعد المكاني بقيمه المحسوسة.

ويعمد إلى أسلوب القصر بقوله (وما هي إلَّا روضة) بقصر الموصوف على الصفة؛ فيشبه هذه الصحيفة بالمكان الطبيعي الروضة، وما فيها من نسيم، ويداخل بين صورتين صورة بصريَّة متمثلة بالروضة، وصورة شميَّة متمثلة بنسيم تلك الروضة التي ترتبط بأحاسيسه ارتباطًا وثيقًا بدلالات الخضرة، والراحة، والسكينة بقدرة إبداعيَّة ينفعل بجمالياتها، وتعبر عن الرؤية الذاتيَّة تجاهها، ثم يأتي التضاد مرة ثانية (الحر والبرد) من لوازم المكان الطبيعي بوصفه دالًا شعريًّا؛ إذ يبرّد هذا النسيم بدلالته المكانيَّة الحسية حرَّ الشوق داخله بدلالته المجازية.

ويصور المكان المتمثل بالدوحة بقوله (وأدواحها)، ويشبه سطور الصحيفة بدوحة مكتظة الشجر بما فيها من جماليَّة تعكس الشعور الذاتي، وصوَّر التضاد باللونين (الأسود والأبيض) والصورة اللمسيَّة المتضادة (الحر والبرد) إعجابه بأستاذه مرتكزًا على المكان الطبيعي الروضة مكان أنس وبهجة، ونضارة شكلت فضاءً شعريًا ترتكز بناه على المجاز في البناء والرؤية :

([1]) ديوان ابن زمرك الاندلسي: 65.

([2]) البند: ((العَلَمُ الْكَبِيرُ، وَجَمْعُهُ بُنُود وَلَيْسَ لَهُ جمعٌ أَدْنَى عَدَدٍ))، لسان العرب: محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري(ت 711ه)، دار صادر بيروت، لبنان، ط3، 1414ه:97/3.

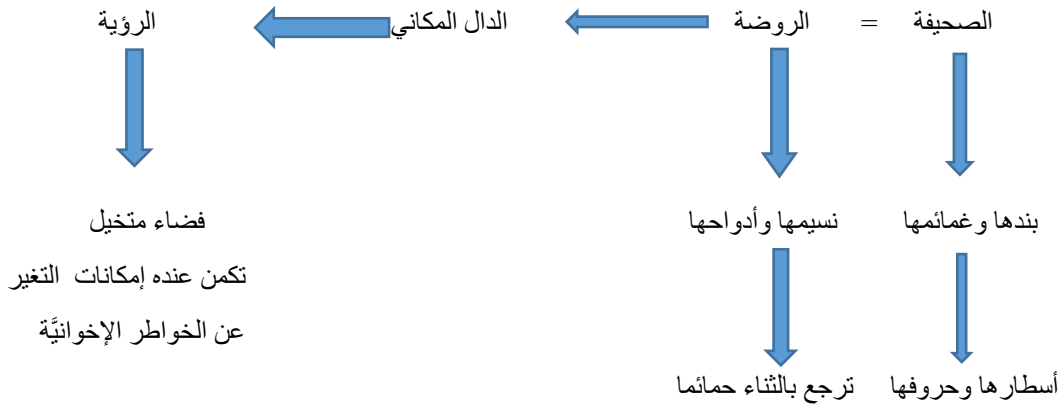

وكونت الضمائر بنية متسقة لفضاء شعري متخيل أدعى لحمل الخواطر، وتجسيد المشاعر بدقة تصوير بأن تكون أسطر الصحيفة، وحروفها غمائم، وأدواحًا تغرد بالثناء كالحمائم إطراءً وتحولًا طبيعيًّا.

ويطالعنا بانفعاله بالأمكنة الطبيعيَّة التي فيها ديمومة الحياة، واستمرارها بنسقٍ شعري يفعِّله الخيال، ويبلور صوره المجاز اتجاهًا جماليًّا مشبعًا بالأمكنة، ودلالاتها الشعريَّة؛ إذ يقول [1]:

أَلّا إن أَدْنَى نِعْمَةٍ منْكَ ... عَظِيمٌ فَمَنْ لِي أَنْ يَقُومَ بِهَا شُكْرِي؟

فَكَيْفَ بِشَيْءٍ فِيهِ أَشْتَاتُ ... يَضِيقُ نِطَاقُ الوَصْفِ فيهِ عَنِ الحَصْرِ

بَهِيمَةُ أَنْعَامٍ لَهَا فِيهِ مَسْرَحٌ ... وَطَيْرٌ أَوَتْ مِنْهُ الغَدَاةَ إلى وَكْرِ

وَوَحْشٌ غَدَا مِنْهُ بِأَنْعَمِ رَوْضَةٍ ... وَقَدْ كَانَ يَأْوِي قَبْلَ ذَاكَ إِلَى القَفْرِ

وَمِنْ ثَمَرٍ لَمْ يَجْمَعِ الرَّوْضُ مِثْلَهَا ... وَلَا خَطَرَتْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ على فِكْرِ

يخرج الرؤية بعلاقة تفاعليَّة؛ فالممدوح أغدق العطاء، وجعل المكان يشعر بالسكينة والراحة، ويكشف عن فاعليَّة المكان الطبيعي القريب من نفسه، بأنَّه يجذب القلوب؛ ويستقطب الأحياء تملأوه البهائم والطيور يعبر ضمنًا عن عطائهِ الذي يجعلها مرتعًا للأنعام؛ فهو وكر للطيور التي تأوي إليهِ، وتغدو وتروح، ولم يسلط الضوء على جماليَّة المكان، وديمومة الحركة والحياة فيه فقط، بل أعطى صورة حيَّة عكست الجانب الآخر بقوله :(بهيمة أنعام)، البهيمة التي وجِدت على الأرض، واستقرت في المكان الذي يألفه، وأخفى شروط الحياة، وأعطى جزئياتها مستعينًا بالصورة القرآنيَّة في قولهِ تعالى: ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾[2].

ولم يكتف بجعل المكان مستمرًا دائم الحياة بل منحه شموليَّة، واتساعًا، وامتدادًا مرتكزًا على بناء مكاني متسع؛ ليرسل صورة كليَّة، تبعث الراحة والطمأنينة فيه بـــ (مسرح)، وما فيها من معاني الحياة والبهجة بالاتساع والانفتاح، وهذا يمثل فضاءً مكانيًا تشكله رؤية الشاعر بانتداب ما لا يعقل (بهيمة أنعام، طير، وحش)، ووجود مسارح الحيوانات التي ترعى فيه تريح النفس بجمالها وسكينتها، حتى الوحوش وجدت مستقرًا في المكان؛ فوظف (بهيمة) ثم (وحوش) المفترسة القويَّة؛ فكانت الطبيعة محركًا في إنضاج الرؤية، وإخراج الدلالة، والإفصاح عنها بفضاء شعري يجسد عطاء الممدوح الذي بدا مؤشرًا فيهِ مكانيًا:

(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 80.
(2) سورة الحج، الآية: 34.

وَوَحْشٌ غَدَا مِنْهُ بِأَنْعَمِ رَوْضَةٍ وَقَدْ كَانَ يَأْوِي قَبْلَ ذَاكَ إِلَى القَفْرِ

وَمِنْ ثَمَرٍ لَمْ يَجْمَعِ الرَّوْضُ مِثْلَهَا وَلَا خَطَرَتْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ على فِكْرِ

بالتحول المكاني المرتبط بالرؤية عبر ثنائية (روضة) في الحال، و(قفر) في الماضي تنافر وتضاد جعلا الصورة معبرة متاحة في التلقي.

ثانيًا: المكان الطبيعي والمرأة

تنطلق الرؤية المكانية باتجاهات متعددة ترتبط بطبيعة البواعث الحاكمة في إنتاج النص الشعري، ونلحظ هيمنة المكان، وامتداده في موضوعات متعددة عبر القراءة والتأويل وصولًا إلى نقطة تتمركز فيها الرؤية ونظراتها، وتتواصل مع محيطها مشكِّلة دوال تشتغل في دائرة المرأة بحيز تتبناه التجربة، وتنتقل بين أجزائهِ صورة وإشارة ورمزًا؛ إذ يوائم الشاعر بين المكانين الطبيعي والإنساني معتمدًا الأول دالًا شعريًّا؛ فيرسم صورة للمرأة ترتكز على مضامين الطبيعة المكانيَّة في تشكيل فاعله خواطر الذات، وتماهيها مع حدثه؛ اذ يقول[1]:

خُذوا الْحِذْرَ مِنْ سُكَّانِ رَامَةَ إِنَّـــــهَا ضَعِيفَاتُ كَرِّ اللَّحْظِ تَفْتَـــــكُ بِالأَسْدِ

سِهَامُ جُفُونٍ عَنْ قِسِيِّ حَوَاجِـــــبٍ يُصَابُ بِهَا قَلْـــــبُ الْبَرِيِّ عَلَى عَمْدِ

وَرَوْضُ جَمَالٍ ضَاعَ عَرْفُ نَسِيمِهِ وَمَا ضَاعَ غَيْرُ الْوَرْدِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ

وَنَرْجِسُ لَحْظٍ أَرْسَلَ الدَّمْعَ لُؤْلُؤًا فَرَشَّ بِمَاءِ الْوَرْدِ رَوْضًا مِنَ الْوَرْدِ

وَكَمْ غُصْنٍ قَدْ عانقَ الْغُصْنَ مِثْلهُ وَكُلٌّ على كُلٍّ من الشَّوْقِ يَسْتَعْدِي

قَبيحُ وَدَاعٍ قَدْ جَلَا لِعُيُونِنَا مَحاسِنَ مِنْ رَوْضِ الْجَمَالِ بِلا عَدِّ

يظلُّ المكان من العناصر المحفزة لأحاسيس الشاعر واقعًا ((يرتقي بهذا العالم الطبيعي إلى مصاف الجمال في الصورة، ويجعله كيانًا حسيًّا يزخر بالحركة، واللون، والتكرار، وهو معين ثرّ للرمز والتشخيص))[2]، وغيب الشاعر جمال الروض، وجعله انعكاسًا لغياب الورد في خدِّ المرأة وضياعه؛ وبهذا تمكن من رسم صورة شعريَّة ترتكز على الحاسة البصريَّة، والحاسة الشميَّة، ويشتمل الروض على أبهى الزهور، ويمتلك نسيمًا هادئًا، وهواءً صافيًا، وكأنه صهر المكان دالًا شعريًّا بالمرأة في سياق شعري متصل؛ بذكر بنى تنبثق من المكان الطبيعي: (نرجس، ولؤلؤ، وماء، وغصن) بمخيلة متقدة تمكنت من مونتاج صورة المكان الطبيعي بإلحاقها بجمال المرأة، وقد تعلقت به وارتبطت، ويشكل الروض المكرر دالًا شعريًّا برؤية مخصوصة، وانفعالٍ يستعرض تفاصيله (الورد، النرجس، غصن)، ثم الخواطر(أرسل الدمع، عانق، الشوق، قبيح وداع)؛ فيتكامل فيها الفضاء الشعري رؤية وحدثًا.

(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 380.
(2) الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي: حيدر لازم مطلك، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2010م: 156.

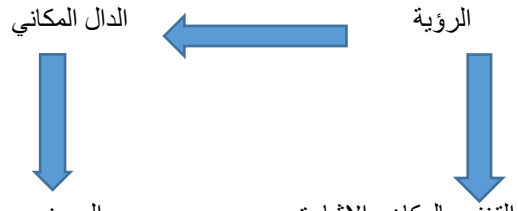

وضمن المكان الطبيعي أحاسيسه، وجعله متعلقا بالمرأة بالنداء، والسرد محققًا فضاءً شعريًّا تحكمه رؤيته وانفعالاته؛ إذ يقول[1]

وَيَا سَاكِنِي بِالأَجْرَعِ الْفَرْدِ مِنْ مِنى وَأَيْسَرُ حَظٍّ مِنْ رِضَاكِ كَثِيرُ

ذَكَرْتُكِ فَوْقَ الْبَحْرِ، وَالْبُعْدُ بَيْنَنَا فَمَدَّتْهُ مِنْ فَيْضِ الدُّمُوعِ بُحُورُ

وَأومضَ خَفّاقَ الذّوَابَةِ بَارِقٌ فَطَارَتْ بِقَلْبِي أَنَّـةٌ وَزَفِيرُ

يعتمد أسلوب النداء لنداء ساكني (الأجرع الفرد)، ونادى المكان؛ ((فالألفة وعدمها لا يخضعان لتقييمٍ محددٍ، بل تكونان تبعًا للتعامل النفسي، والعاطفي القائم بين المكانِ وقاطنه)) [2]، ويعادل استدعاء أهل المكان استدعاءه للمكان فكلاهما متعلق بالآخر؛ ففي اللحظة ((تكون الأرض والجبال والبحر، صورًا منتخبة من مكونات الجمال الحسي في الطبيعة، إلَّا أنَّ الشاعر يأتي بها رمزًا. أو وسيلة لغرض رسم حال ما، أو تقرير قيمة معنية))(3)؛ إذ إنَّ نداءَه لساكني الأجرع نداءً لاستحضار المكان، واستدعائه ليكون ماثلًا أمامه، ثم يصور المكان الطبيعي المتمثل بالبحر؛ ((فالطبيعة خير من يصوغ موقف الشاعر، وتصور شعورَه حين تجسِّد معانيه وتشخيص أفكاره، ويلقي عليها ظلالًا وألوانًا حتى تُبعث فيها الحيويَّة، والإثارة عبر خيالات وإيحاءات تهدي بالعاطفة للنفوذ في مشاعر المتلقي))(4)، وجاء ذكره للمرأة مكنيًا عن البعد بالبحر بعد أن وجد نفسه في فضاء جعل الأحاسيس تتقد في مخيلته من الوحدة، والضياع في ذلك البحر؛ ((فالأماكن المنفتحة قد لا تسعدنا والأماكن الضيقة ليست دائمًا سيئة))(5)، وتمكن من تشكيل صورتين شعريتين ترتكزان على مكانين طبيعيين يختلف كلٌّ منهما عن الآخر؛ فالأول مكان طبيعي بري والآخر مكان طبيعي مائي بحري.

ويعبر المكان الطبيعي بوصفه دالًا شعريًّا عن رغبة الذات في كسر حاجز الخوف، والضياع، ويكون المثول المكاني مخيفًا ومرعبًا للشاعر، وذلك بتوظيفه ظرف المكان: (فوق البحر) الذي فيهِ رغبته بالتسامي عن المكان، والهروب منه، وجاء النص نفسيًّا يحاول فيه الشاعر بناء رؤية تجمع مكانين جاء الثاني البحر داعمًا للأول في إطار إبداعي صفته المجاز، وفاعله الخيال بالنداء والتعيين(الأجرع الفرد)، ثم البوح (وأَيسرُ حظ) فالتمثيل للحالة الشعورية (ذكرتك فوق البحر) ثم المعاناة (فَطارتْ بقلبي أَنَّةٌ وَزَفِيرُ) .

([1]) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 426.
([2]) الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي: د. حسين علي الدخيلي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010م: 33.
([3]) الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي: 157.
([4]) الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، دراسة نقدية: د. عبداللطيف يوسف عيسى، دار غيداء للتوزيع والنشر، عمان، ط1، 2011م: 162.
([5]) بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري: فتحية كحلوش، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م: 28.

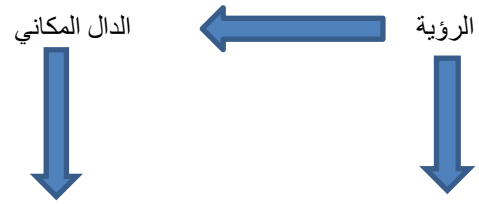

بسياق اجتماعي يتصل بالمرأة.

ويصور الشاعر الطبيعة المكانيَّة الروضيَّة؛ بوصفها مكانًا مهيمنًا، وفضاءً من فضاءات التجربة وواقعها؛ إذ يقول في وصف القرنفل [1] :

رَعَى اللهُ زَهْرًا يَنْتَمِي لِقَرْنُفُلٍ ... حَكَى عَرْفَ مَنْ أَهْوَى وَإِشْرَاقَ خَدِّهِ

وَمَنْبِتُهُ فِي شَاهِقٍ مُمَتَّنِعٍ ... كَمَا امْتَنَعَ الْمَحْبُوبُ فِي تِيهِ صَدِّهِ

أَمِيلُ إِذَا الأَغْصَانُ مَالَتْ بِرَوضَةٍ ... أَعَانِقُ مِنْهَا الْقُضْبَ شَوْقًا لِقَدِّهِ

وَأَهْفُو لِخَفّاقِ النّسِيمِ إِذَا سَرَى ... وَأَهْوَى أَرِيجَ الطِّيبِ مِنْ عَرْفِ نَدِّهِ

بدأ الشاعر النص بتصوير ثابتة مكانية (زهرة القرنفل) تعيينًا ووصفًا، وعدَّها ميدانًا رحبًا لبثّ أحاسيسه، ويضمِّن النصّ الصور الحسيَّة البصريَّة واللمسيَّة؛ رغبة في ديمومة الحياة في المكان الطبيعي؛ ((فالمكان يتسم بالسعة والامتداد والارتفاع والانبساط والشدة))[2]، ويخلع على المكان صفة الامتداد، والارتفاع بحيويَّة الزهرة التي تمثل رمزًا للنماء، ويبدأ النصّ بالدعاء بقوله: (رعى الله زهرًا)، وهذا يمثل الأحاسيس تجاه موجودات طبيعيَّة شديدة الالتصاق بذات الشاعر، وينتقل إلى مشهد مكاني روضي متحقق شعريًا بزينة (زهرة القرنفل) بألوانها المتعددة، وشذاها الزكي تتخذها الأرض زينة، وتكتسي بها، ويعتمد في عجز (البيت الاول) الحواس بتداخل شعري بين المكان والمرأة بقوله: (حكى عرف من أهوى وإشراق خدِّه)، ويستدعي الفعل (حكى) الإلحاق بالتشبيه، والعرف يفعل حاسة الشمّ، والإشراق يستجلب حاسة البصر؛ فتمكن من جمع الحواس، وتسليط الضوء على المكان الطبيعي بوصفه دالًا شعريًّا يعزز التجربة ونظراتها للواقع.

ورسم الصورة واعتنى بدقتها؛ لترتكز على المضامين الطبيعيَّة الحقيقيَّة والمتخيلة، وجمع بين منبت القرنفل في الأماكن المرتفعة، مبينًا ندرته وصعوبة الحصول عليه، وتمنعه ليكون مشابهًا لتمنع المرأة وصدها (امتنع المحبوب)، وجعل من (زهر القرنفل) معادلًا موضوعيًّا للمرأة؛ فكلاهما يحتاج مشقةً وصبرًا للنوال بصورتين (مكانيَّة طبيعيَّة، وحسيَّة متخيلة) ترتكزان على خواطر صادقة في نيل ما هو قريب من النفس؛ ((فالطبيعة ملهمة الفنان، ومصدر الوحي، ومنبع إلهام وتهوي إليها أفئدة الناس مهما اختلفت ثقافتهم وبيئتهم، فالإنسان بفطرته مغرم بالطبيعة، مقدس جمالها، يشاركها أشجانه وخواطره ويبادلها أفكاره ويشركها مسراته وعزاءه))[3]، ويمثل المكان الطبيعي البؤرة التي تنبثق منها الذكريات، والآلام وفي الوقت ذاته هو الفضاء الحامل للتجربة بأزمة متجذرة في الوعي.

ويتواصل في الكشف عن أحاسيسه تجاه المكان الطبيعي؛ إذ جعله سببًا للبوح عمّا يجيش في صدره من شوق للمرأة؛ فهو يميل إذا ما مالت الأغصان في تلك الروضة؛ ويحاول أن يعانق كلَّ غصن رطب يتسم بالنعومة والرقة؛ بصورة مكانيَّة متدفقة بالرجاء، وبهذا يضمّن النصّ الصورة اللمسيَّة التي ارتكزت على (اللين والنعومة) اللذين تتميز بهما الأغصان من مؤثثات المكان الطبيعي، ثم يتحول إلى الصورة الشميَّة بذكره (النسيم) بالاستعارة، ويجعل للنسيم خفقانًا كخفقان القلوب؛ يهفو لخفقان النسيم(وأهفو لخفاق النسيم)، ثم يأتي بصورة شميَّة يستنشق أريجًا وطيبًا من (عرف) الندى فوق أغصان الزهرة بصورة جماليَّة مكانيَّة متوقدة بالشعور، ومعبرة عن إحساس يستقر في الوعي،

---

(1) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 384.
(2) الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي: 156.
(3) وصف الطبيعة في الشعر العباسي لوحات كشاجم نموذجًا: 85.

والمخيلة؛ فكان المكان الطبيعي بوصفه دالًا شعريًّا منفذًا للدخول إلى مكنونات النفس، ومنطلقًا للتعبير عن مواقفها إزاء المرأة بفضاء شعري تعددت فيهِ الصور الواقعيَّة والمتخيلة.

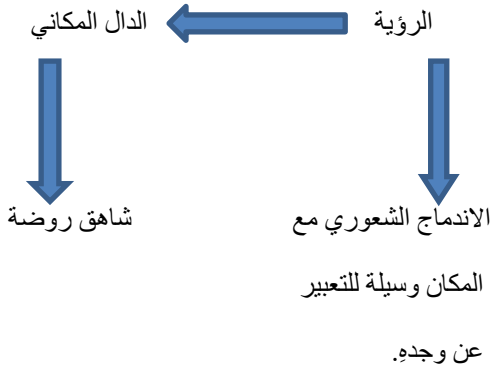

ثالثًا: المكان الطبيعي والحنين

لا تخرج الأمكنة الطبيعية عن كونها مشاهد فاعلة في نفس الشاعر تحرك وجدانه وتثير شعور الحنين عنده وفي الوقت نفسه تكون عالية أو منخفضة، تتصف بالألفة محملة بالذكريات، مرتبطًة بالموقف ، والرؤية هدف النص الشعري؛ ((فكانَ الحنينُ دافعًا أساسًا، ومدعاةً لبناء مشاهَد تقومُ على استجماعِ لوازم مكانيَّة دالة تمكنُ من تجسيد قسماتٍ وجدانيَّة، ونوازع فكريَّة؛ بالاعتماد على قيمِ حسيَّةٍ متعددةٍ، ومداركَ يشرعُ الشَّاعرُ/السَّاردُ في تداولها؛ لتشكيل المشهد الوصفيّ، وصياغته، وتوجيه دلالاته المدعمة بقرائن لغويَّة، وسياقات حدثيَّة واقعيَّة تشترك في رسمِ لوحاتٍ مكانيّة يغلفها شعور ذاتيّ؛ ليتدفق في أجزائِها؛ فيرصدَ تجربةً راهنةً، ويرسلَ موقفًا فكريًّا موشّى بدلالات اجتماعيَّةٍ))[1]، وهنا تغلب الذات منطقها، وتفصح عن خواطرها، وتمثل الطبيعة فضاءً مكانيًّا وزمانيًّا؛ اذ تختزل المكان، والزمان الذي عاش فيه الشاعر وتأمل الطبيعة تأمل حياة مضت، وكلما رآها فإنه يرى مكانًا كانت له فيه ذكرى وموقف، ويرى زمانًا كان يشعر فيه بطيب الحياة وجمالها وسكينتها؛ إذ يقول[2] :

يَثْنِي أَزِمَّةَ هِيمِهَا شَوْقٌ إلى ... ظِلِّ الأَرَاكِ وأَزْرَقٍ سَلْسَالِ

ذَكَرَتْ بِهَا الْحَيَّ الجمِيعَ كَعَهْدِهَا ... والرَّبْعُ مِنْهَا أَخْضَرُ السِّرْبَالِ

والدَّارُ حَالِيَةُ المَعَاطِفِ والرُّبَا ... وَمَرَادُهَا بِالرَّوْضَةِ المِخْضَالِ

أَيَّانَ ما لَعِبَتْ بها أَيْدِي النَّوَى ... وَتَرَاهَنَتْ في الحَلِّ والتَّرْحَالِ

وَجَرَتْ بِسِدَّتِهَا الحُدَاةُ كأَنَّهَا ... قِطَعُ السَّفَائِنِ خُضْنَ بَحْرَ لَيَالِ

دعني أُطَارِحْهَا الْحَنِينَ فَإِنَّنِي ... لا أَنْثَنِي لِمقالَةِ الْعُذَّالِ

(1) المشاهد الوصفية في شعر ابن زيلاق الموصلي (ت660هـ)، (بحث منشور): 81 .
(2) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 458.

يظلُّ المكان الطبيعي بوصفه دالًا شعريًّا حاضرًا بقوله: (الأراك، والحي، والروضة)، ويذكر الزمان بقوله: (ذكر الزمان الخالي)، ولم يأتِ الشوق إلى الزمان الخالي بجديد فلن يستطيع الشوق أن يعيد الماضي ونظارته، وحنينه سيحيي تلك الأمكنة، وذلك الزمان يسبب له حزنًا عميقًا جعل عنصر القلق والتأزم النفسي يسيطران عليه.

ثم يرسم الشاعر بعد هذهِ الوقفة التأمليَّة صورة كليَّة للحياة، ووصفَ الأطلال المكان الطبيعي الذي يمثل الراحة والسكينة، والاستمرار: (ظل الآراك، وأزرق، والسلسال، والربع، أخضر السربال)؛ فاللونان الأزرق والأخضر يمثلان الحياة والقوة، ويصف الأمكنة من رياض تمثل له رمزا من رموز تبعث الإحساس العميق بالوجود. ثم يسدل الشاعر الستار عن المكان؛ لأنه أصبح في طور الماضي والديار التي كانت تتسم بالخضرة والجمال، وتكمن المفارقة في مزجه للصور المتمثلة بالطبيعة؛ إذ تكون الصورة ((غير واقعيَّة وإن كانت منتزعة من الواقع؛ لأن الصور الفنيَّة تركيبة عقليَّة تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع))[1]، ووجد الشاعر الماضي والمكان الطبيعي ملاذين يحتمي بهما من واقعه الحاضر.

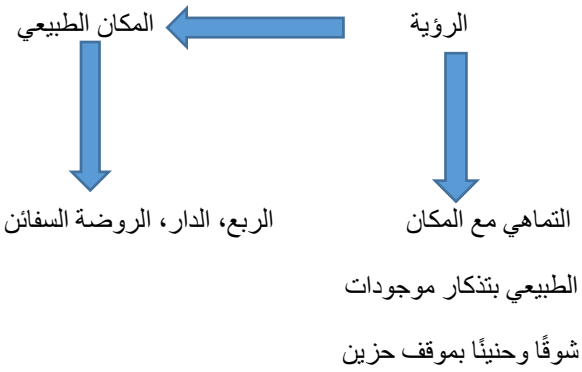

ويوظف ((الشَّاعر ابن زمرك الأندلسي)) المكان الطبيعي الذي يألفه، ويعبر عن رؤيته بمحطات جماليَّة وأبعاد نفسيَّة؛ إذ يقول [2]:

إنَّ الحِجَازَ مَغَانِيهِ بأندلسٍ ... ألفاظُهَا طابَقَتْ منها مَعَانِيهَا
فتلكَ نجدٌ سقاها كُلُّ مُنْسجِمٍ ... منَ الْغَمَامِ يُحييها فَيُحْيِيهَا
وبارقٌ وَعُذَيْبٌ كلُّ مُبتسمٍ ... من الثُّغُورِ يُحليها مُجَلِّيهَا
وإن أَرَدْتَ ترى وادَ العقيقِ فَرِدْ ... دُمُوعَ عُشَّاقِها حُمرًا جوَارِيهَا

يداخل الشاعر بين مكانين هما المكان الذي يعيش فيه(الأندلس)، والمكان البعيد (أرض الحجاز)، وهذا نابع من ((وظيفة الشعر الكبرى هي أن يجعلنا نستعيد مواقف أحلامنا فالبيت الذي ولدنا فيه هو أكثر من مجرد تجسيد للمأوى، هو تجسيد للأحلام كذلك))[3]، ويشرع في تصوير الأماكن الحجازيَّة وهو في أرض الأندلس، وكأنها محاكاة للمكان الذي يعيش فيه، وكل ما في الحجاز من ألق مكاني موجود في الأندلس إلحاقًا، و((المكان الذي غلب عليه طابع الفرح والألفة يبقى راسخًا في ذاكرتنا لرغبتنا ببقائه وعدم زواله))[4]؛ لتوافر أسباب الحياة ومنها المطر، ونجده يوظف الدعاء بالسقيا على التقليد التراثي تجاه المكان المحبب إلى النفس بقوله: (سقاها كل منسجم)؛ إذ ((يكون معنى (الربع) مكانيًّا وزمانيًّا رمزيَّة دالة على الحياة والخصب، وقد يكون أكثر ارتباطًا بالزمن؛ لأنَّه يعني المكان الذي بقيت به القبيلة في فصل الربيع))[5]، ويوظف الجناس بقوله: (يُحييها، فيُحييها)، واللفظتان متساويتان إلَّا أن المعنى مختلف، الأولى للتحيَّة والمصادقة، والثانية لبثِّ الحياة والرواء في المكان، ولعله أراد القول إن هذا الغمام سيحيي أرض الحجاز، وفي الوقت ذاته سيبقي ذكرها حاضرًا واسمها حيًّا لا يموت، وكأنه أدرك أن المكان ((يرفض أية تصورات لا تربطه بالحركة))[6]؛ فالإحياء الأول إحياء الأرض بما فيها من أسباب الحياة، وأما الثاني؛

(1) التفسير النفسي للأدب: عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، مصر، ط4،(د.ت): 57، 58.
(2) ديوان ابن زمرك الأندلسي:500.
(3)جماليات المكان: غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسها، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط2، 1984م: 44.
(4) جماليات المكان: 40.
(5) الزمن في شعر تميم بن مقبل: فنن نديم دحام آل إبليش، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، بإشراف: د.علي حسين التمر، جامعة الموصل، كلية التربية، 1433 هـ-2012م:103.
(6) إشكالية المكان في النص الأدبي ـ دراسات نقدية: ياسين نصير، دار الشؤون الثقافية العامة، جامعة كاليفورنيا، (د.ط)، 1986م: 19.

فهو استمرار الحياة ومكانها التراثي بحياة ماديَّة، وأخرى معنويَّة، الأولى: تستمر باستمرار نزول المطر، والثانية: خلودها في الوعي ببقاء اسمها.

ويذكر ((الشَّاعر ابن زمرك الأندلسي)) في البيت الأخير تعلقه بالمكان (وادي العقيق) الذي يصور حاله وهو يتذكره بالدموع والحسرات؛ حزنًا من البعد عنه كما نجد توظيفه للون الأحمر الذي يدل على شدة البكاء تحسرًا على المكان الذي استقر في مخيلته، ((ويرمز التصريح باسم المكان في الاختيار الشعري إلى معطيات لها دور في تمكين الرؤية، ويظهر على الشاعر الشوق والحنين بعد مفارقته لها وهو يتأوه كلما تذكر معاهدها))[1] بالبكاء حسرة على المكان والرغبة في إشباع اللحظة الآنيَّة بذكرياته.

الرؤية ← الدال المكاني

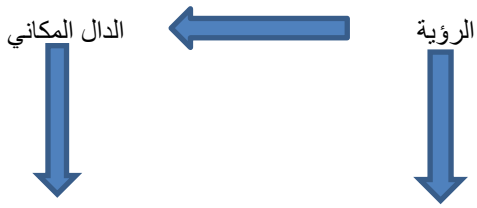

إظهار الشوق والحنين وتقريب المسافات والبكاء والانفعال توجهًا شعريًّا يؤكد الانتماء للمكان بما فيهِ من أبعاد قدسيَّة وخواطر تراثيَّة إزاء المكان الطبيعي .

نجد، بارق، العذيب، وادي العقيق الحجاز، الأندلس

ويعتمد المكان الطبيعي مسرحًا للبوح، وإطلاق الخواطر، وتوكيدها في إحدى موشحاته بهجة وإشراقًا؛ إذ يقول[2]:

وَاسْتَقْبَلَ البَـــــدْرُ لَيَالِي التَّمَــــــامْ   وَصَافَــــــحَ الصُّبْــحَ بِكَفٍّ خَضِيبْ

وَرَاجَـــــعَ الأَطْيَارُ سَجْعَ الْحَمَــــامْ   بِكُلِّ ذِي لَحْنٍ بَدِيـــعٍ غَرِيــــــــــبْ

نَوَاسِمُ الْــوَادِي بِمِسْــكٍ تَفُوحْ   وَنَفْــحَةَ النَّدِّ بهِ تعبــقُ

وَبَهْجَةَ السُكانِ مِنْهُ تَلُوحْ   وجوُهُ مِنْ نُورِهِمْ يُشْرِقُ

وَعَرْفَهُ بِالطيبِ مِنهُمْ يَفُوحْ   كَأَنَّهُ عَنْ عَنْبَرٍ يُفْتَــقُ

يبقى المكان الطبيعي محببًا للذات الشاعرة؛ لما فيه من صدق وصفاء، وبعيداً عمَّا هو مصطنع، ويمثل مكان الراحة، وحديث النفس، وأورد الشاعر (البدر، الصبح، الأطيار، الحمام)، التي تدل على المكان الطبيعي الذي تألفه النفس، وتأنس به (بدر منير)، و(صبح) يدل على النشاط والحيويَّة، وتملأ الطيور المكان الطبيعي، والحمام الذي يجذب المسامع بصوته، وسجعه، ونلحظ أنسنة البدور والصباح بقوله: (واستقبل البدر، وصافح الصبح)؛ للاستقبال على المودة، وتدل المصافحة على الأمان والسلام، وهذه الصفة هي التي تعطي للأحداث معناها الحقيقي ضمن فضاء شعري طبيعي.

([1]) الاختيارات الشعرية في كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض للمقَّري التلمساني(ت1041ه) دراسة تحليلية: بسام خالد محمد، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، بإشراف: د. مقداد خليل قاسم الخاتوني، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2023م : 116.

([2]) ديوان ابن زمرك الأندلسي: 553.

ويرسم الشاعر صورة شعريَّة للنسيم الذي يهب من المكان الطبيعي (الوادي)؛ ليتمخض عنه الإحساس الذاتي بالمكان؛ وصوَّر المكان الطبيعي (الوادي) بعبق النسائم التي تهب منه، والرياحين التي تفوح فيه، بجعله موطن راحة، وبهجة لساكنيهِ، ويبيت المكان الطبيعي ذا سمة جماليَّة بتوظيفه للصورة الشميَّة والصورة البصريَّة، وكانت الأولى مهيمنة : (مسك، تفوح، نفحة، تعبق، عرف، يفوح، عنبر، يفتق)، وقد توسطت الثانية تشكيلين شميين: (بهجة، تلوح، وجوه، نور، تشرق) إمعانًا وتركيزًا في المنظور المكاني، وتشكيله بدءًا بحدث الاستقبال البصري (البدر)، ثم حدث المراجعة (وراجع الأطيار) السمعي؛ ((إذ إنَّ تَجَاورَ الصُّورتين نَظْمًا، فضلًا عن اتّحادهما فَضَاءً وسياقًا؛ يُرَجِحُ الصورةَ السمعيَّةَ، ويؤَكدُ محورِيَّتها في النَّصِّ، وإجمَالها لما يَخْتلجُ في النَّفْسِ؛ فلا يَعدو إيْرادُ الصورةِ البصريَّة دَورَ تعزيزِ الدلالة الزمنيَّة أولًا، وتوْكيد الحضُور المَكَاني ثَانيًا، وهما قَيدان في المَشْهدِ مُتاحَان للتواصل))[1]، وصولًا إلى حدث العبق (تفوح) الشمي:

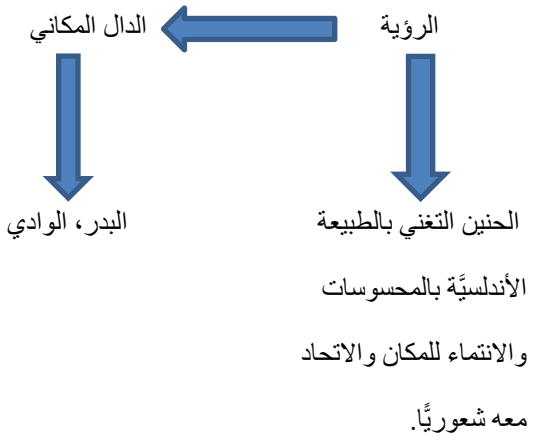

الخاتمة

- أدرك ((الشَّاعر ابن زمرك الأندلسي)) محوريَّة المكان الطبيعي في البناء الشعري في موضوعات المديح والمرأة والحنين وأولاه عناية كبيرة أظهرتها القراءة، وأبانها التخيل عبر الوقوف عند المكان الطبيعي دالًا، ودورهُ في إكمال الرؤية الشعريَّة.

- يأتي المكان الطبيعي واقعيًا وخياليًا، يعجُّ بمواطن الجمال بوصفه دالًا شعريًّا؛ إذ اعتمده دالًا شعريًّا بقدرة إبداعية متوازنة شعوريًا عبر الوقوف عند دلالات المكان الطبيعي، ودورهُ في إكمال الرؤية الشعرية وبثها بأطر نفعية وأدوار جمالية.

References:

1. -Description of Nature in Abbasid Poetry: Kashajim's Paintings as a Model: Dr. Zainab Abdul Karim Hamza, (published research), Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences, University of Babylon, Issue 35, 2017
2. Descriptive Scenes in the Poetry of Ibn Zillaq Al-Mawsili (d. 660 AH): Dr. Muqdad Khalil Qasim (published research), Journal of Rafidain Literature, University of Mosul, College of Arts, Issue 75, 1440 AH/2018 AD.
3. -Lisan Al-Arab: Muhammad ibn Makram Jamal Al-Din Ibn Manzur Al-Ansari (d. 711 AH), Dar Sadir, Beirut, Lebanon, 3rd ed., 1414 AH.
4. -Nature in Pre-Islamic Poetry: Dr. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, Al-Irshad Printing and Publishing House, Baghdad, Iraq, (n.d.), (n.d.(.
5. -Place in the Poetry of Abu Nuwas: A Theoretical Introduction: Jamila Saddam (published research), Journal of the College of Arts, University of Baghdad, Iraq, Issue 90, 2009 AD.
6. Place in the Poetry of Ibn Nabatah Al-Misri (d. 768 AH): Abeer Abdul-Karim Al-Obaidi (unpublished master's thesis), supervised by: Prof. Muqdad Khalil Qasim Al-Khatuni, College of Arts, University of Mosul, 2023 AD.

(1) جماليات الصورة السمعية في شعر الشاب الظريف (ت688ه): د.مقداد خليل قاسم الخاتوني، (بحث منشور) مجلة جامعة كركوك العلوم الإنسانية، جامعة كركوك، مج16، ع1، لسنة 2021م: 32.

7. Place in the Poetry of Ibn Zaydun: Sahera Aliwi Hussein Al-Amiri (unpublished master's thesis), supervised by: Prof. Hana Jawad Abdul-Sada, University of Babylon, College of Education, 2008 AD.
8. Poetic Selections in the Book Azhar al-Riyadh fi Akhbar Ayyad by al-Maqqari al-Tilimsani (d. 1041 AH), an Analytical Study: Bassam Khaled Muhammad, (unpublished doctoral dissertation), Supervised by: Dr. Muqdad Khalil Qasim al-Khatuni, University of Mosul, College of Arts, 2023.
9. -The Aesthetics of Space, Gaston Bachelard, translated by Ghaleb Halasah, University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 1984.
10. -The Aesthetics of the Audio Image in the Poetry of al-Shab al-Dharif (d. 688 AH): Dr. Muqdad Khalil Qasim al-Khatuni, (published research), Kirkuk University Journal of Humanities, University of Kirkuk, Vol. 16, No. 1, 2021.
11. -The Artistic Image in Ibn Zaydun's Poetry, a Critical Study: Dr. Abdul Latif Yousef Issa, Ghaidaa Publishing and Distribution House, Amman, 1st ed., 2011.
12. -The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary: Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Husayni, nicknamed Murtada al-Zabidi, edited by a group of editors, Dar al-Hidaya, Kuwait, (n.d.), (n.d.(.
13. The Culture of the Literary Critic: Dr. Muhammad al-Nuwaihi, Al-Khanji Library, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 1969.
14. -The Diwan of Ibn Zamrak al-Andalusi, edited by Muhammad Tawfiq al-Nifer, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1997.
15. The Poetic Space of the Thief Poets in the Pre-Islamic and Islamic Eras: Dr. Hussein Ali Al-Dakhili, Al-Hamed Publishing and Distribution House, Amman, Jordan, 1st ed., 2010.
16. The Problem of Place in Literary Texts - Critical Studies: Yassin Nasir, General Directorate of Cultural Affairs, University of California, (n.d.), 1986.
17. The Psychological Interpretation of Literature: Izz al-Din Ismail, Gharib Library, Egypt, 4th ed., (n.d).
18. -The Rhetoric of Place: A Reading of the Spatiality of Poetic Texts: Fatiha Kahlush, Arab Diffusion Foundation, Beirut, 1st ed., 2008.
19. -Time and Place in the Poetry of Abu al-Tayyib al-Mutanabbi, by Haidar Lazim Mutlaq, Dar al-Safa, Amman, Jordan, 1st ed., 2010..
20. -Time in the Poetry of Tamim ibn Muqbil, by Nadim Daham al-Iblish (unpublished doctoral dissertation), supervised by Dr. Ali Hussein al-Tamr, University of Mosul, College of Education, 1433 AH - 2012 AD.